مع اليمن في بقايا لغوية

الدكتور إبراهيم السامرائي

لقد وقفنا في الدرس النحوي على بقايا لغوية عرفتها « العربية » اليمنية ، ومن ذلك ماذكره النحويون من إبدال لام التعريف ميماً وذهبوا إلى أنه لغة حميرية . وبهذه اللغة خاطب النبي ﷺ وفد اليمن رداً على سؤالهم : أمن امبرّ امصْيام في امسفر ، فقال : « ليس من امبرّ امصيام في امسفر » .

وقد أيّد النحويون هذه المسألة بشاهد من شواهدهم ، وهو قول الشاعر :

ذاك خليلي وذو يُـواصلني   برمي ورائي بـامْسَهْمِ وامسَلِمَـة[1]

أقول : والبيت مما لم ينسب إلى قائل في الكتب النحوية ، غير أن ابن برّي قد نسبه إلى بُجير بن عَنَمة الطائي . وكأن النحويين قد لفقوه من بيتين هما :

وإنّ مـولايَ ذو يعـاتبني   لاإحْنَـةٌ عنـده ولا جَرِمَـهْ
ينصُرُني منـكَ غيرَ مُعْتَـذِرٍ   يرمي ورائي بـامْسَهْمِ وامسَلِمَـة[2]

وقد ركّبوا صدر البيت الأول بعد تغيير في بعض كلماته على عجز البيت

● ماجاء بين حاصرتين فهو من إضافات المجلة .

(١) شرح الاشموني ١ / ١٧٢ .

(٢) المصدر السابق .

الثاني . وقد جاء في البيت الأول « ذو يعاتبني » ، و « ذو » هذه هي الطائية التي استدل عليها النحاة بقول الشاعر :

فإن الماء ماءُ أبي وجدّي وبئري ذو حَفَرتُ وذو طَوَيْتُ[٣]

ولغة طيِّئ يمنية .

على أن هذا وغيره هو من البقايا الحميرية التي بقيت في « عربية » أهل اليمن ، وهي ليست بشيء .[٤]

لقد أقبل اليمنيون على العربية فكانت لغتهم ، ولم يبق من الحميرية البائدة إلا شذرات أشار إليها الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ، ونشوان في (شمس العلوم) ، كما سنرى .

لقد كان جهد اليمنيين بارزاً في الإقبال على العربية ، والرحلة في طلبها إلى الحواضر العربية ، ومنها مكة والمدينة ، والبصرة والكوفة ، كما كانت حواضر اليمن ومنها صنعاء وحضرموت وعدن وزبيد وغيرها من البلاد التي قصدها علماء العربية وأخذوا عن رجالها .

---

(٣) والبيت من قول سنان بن الفحل الطائي « من شعراء الحماسة » ، وقد استشهد به ابن هشام في « أوضح المسالك » ١ /٣٦ .

(٤) وذهب الهمداني إلى أن أهل (خيوان) فصحاء ، وفيهم (حميرية) كثيرة إلى صعدة .

أقول : كأن الهمداني استثنى « الحميريين » من الفصاحة . وقد جعل الهمداني إبدال لام التعريف ميماً من الآثار الحميرية ، كما عدّ لزوم المثنى للألف منها ، وإن بقي هذا في بعض فصيح العربية كما في قوله تعالى : « إن هذان لساحران » .

قال الهمداني : « فقد تؤثر لغتهم [أي الحميريين] في بعض الفصحاء ، فبلد سفيان بن أرحب فصحاء ، إلا في مثل قولهم : أم رجل ، وقيّد بعيراك ، ورأيت أخواك . ويشركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعير وماأشبهها « الأشعر » و « عكّ » وبعض « حَكَم » من أهل تهامة » (صفة جزيرة العرب ص ٢٧٨) .

وكان أبو عمرو بن العلاء ممن قصد اليمن في رحلته ، فقد روي عن الأصمعي أنه قال : قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابياً يمانياً يقول : فلان لغوب ، جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت تقول : جاءته كتابي ! فقال : أليس بصحيفة ؟ فقلت له : مااللغوب ؟ فقال الأحمق .(٥)

ومما رواه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع رجلاً من خولان يقول : وقد مات لهم باليمن سيد : أيّ عَيْرٍ انقعَر منا ، أي أيُّ سيد .(٦)

وقد أشار أبو عمرو إلى ماسمعه في اليمن فقال : « كنت باليمن فأتيت دار قومٍ باليمن أسأل عن رجل ، فقال لي رجل منهم : اسمُكْ في الرَّيْم » أي اعلُ في الدار » .(٧)

ومن هذا أيضاً قوله : « رأيت باليمن امرأة ترقّص ابنها وهي تقول :

يـاربَّنـا مَن سرَّه أن يكبُرا فسُقْ له ياربُّ مالاً خَيِّرا(٨)

---

(٥) جمهرة اللغة ١ / ٢١٩ ، ١ / ٢٤٩ ، وانظر الخصائص ١ / ٢٤٩ [جمهرة اللغة ١ / ٣١٩] .

(٦) المصدر السابق ٢ / ٢٩٨ ، وأمالي القالي ١ / ١٦٠ [جمهرة اللغة ٢ : ٣٩٢] .

(٧) المصدر السابق ٢ / ٤١٩ [جمهرة اللغة ٢ : ٤١٩ ، وأمالي القالي ١ / ١٦٠] .

[ونص أمالي القالي : « قال أبو عمرو بن العلاء : أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل ، فقال لي رجل منهم : اسمك في الرَّيْم ، أي اعلُ في الدرجة » .

ونص الجمهرة « ... أخبرنا أبو حاتم قال : أخبرني الأصمعي قال : قال أبو عمرو بن العلاء : كنت باليمن فأتيت دار رجل أسأل عنه ، فقال لي رجل في الدار : اسمُكْ في الريم ، أي اصعد الدرجة »] .

(٨) المصدر السابق (ط . بيروت) ١ / ٥٢٦ [الجمهرة ٢ : ١٤٧]

وقد ورد في « التنبيه والإيضاح » : هذا الخبر والرجز :

. . . . فـسق إليـه ربٌ مـالاً خيِّرا

والرجز في « اللسان » (حير) :

. . . . فهب لـه أهـلاً ومـالاً حَيِّرا




على أننا نجد أن أبا عمرو قد أشار إلى مابقي من الحميرية في « العربية » اليمنية وأنكرها . فقد قال : « مالسان حمير في أقاصي اليمن لساننا ، ولا عربيتهم عربيتنا » .[9] وقد أراد بقوله : « عربيتهم » تلك العربية التي خالطتها الحميرية في « أقاصي اليمن »[10] .

وكما قصد أهل العلم بلاد اليمن للطلب ، قصد أهل اليمن مراكز العلم في مكة والمدينة والبصرة والكوفة ، وكان من هؤلاء الشاعر ابن مناذر الذي أخذ العلم في عدن ، ثم بدا له أن يستكمل ماكان له في عدن فقصد البصرة .[11]

وقد عرفت البصرة أهل صنعاء ، وإننا نتبين هذا مما ورد في (الإكليل) في حديث من عرف البصرة ، قال الهمداني : « وحدثني محمد بن أحمد الفهمي [القهبي]السمسار ، قال حدثني إبراهيم بن اسماعيل الفهمي [القهبي] ، قال كنت بالبصرة قبل سنة الخمسين ومئتين ، فرأيت في مسجدها الجامع حلقة من الناس كثيفة . فقلت ماهذه الحلقة ؟ فقيل : حلقة غلام جليل ، فتقدمت فسمعت من كلامه ، وهو يعظ الناس ، ثم أقبل على الجماعة فقال : ياأهل البصرة عوّدوا نساءكم الحفاء ، وكأني أسمع قعقعة خلاخيلهنْ على أقتاب الإبل . ثم أقبل على جماعة من أهل البصرة كان يعرفهم يتّجرون بصنعاء ، ويقيمون بها ، فكانوا يَسمّون

(٩) المزهر ١ / ١٧٤ ، وانظر طبقات فحول الشعراء ص ١١ .

(١٠) وفي الأثر : « وفد على النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وفد اليمن فقال ! « أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرقّ أفئدة ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية (لسان العرب:يمن) . أقول : وفي هذا الحديث إشارة ضمنية إلى عربيتهم التي وردوا عليها .

(١١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١١٩ - ١٢١ ، وبغية الوعاة ١ / ٢٤٩ ، والاغاني ١٨ / ١٦٩ - ١٧٢ ، ومعجم الأدباء ٧ / ١٠٧ - ١١٠ [١٩ / ٥٥ - ٦٠] .

بالبصرة الصنعانيين ».[١٢]

وقد أشار القفطي إلى صلات الهمداني بأهل العلم في العراق وكان يكاتبهم ويعاشرهم ، ومنهم : « أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري الذي كان يختلف بين صنعاء وبغداد ، وهو أحد عيون العلماء باللغة والعربية ، وأشعار العرب وأيامها . وكذلك أبوه القاسم على ماورد في أخبارهم » وكان يكاتب أبا عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبا عبد الله الحسين بن خالويه ، وهو تلميذ أبي بكر بن الأنباري .

وزاد القفطي فأثبت « أن الهمداني سار إلى العراق واجتمع بالعلماء واجتمعوا به فيما قيل ».[١٣]

على أن الشيخ حمد الجاسر قد أثبت في « مقدمته » لصفة جزيرة العرب أن الهمداني لم يكن له رحلة إلى العراق ، وأنه يجهل طريق العراق ولو سلكه لما جهل ذلك .[١٤]

على أننا نجد في « الإنباه » للقفطي ، و« بغية الوعاة » للسيوطي مايفيد أن لأهل العراق في القرن الثالث الهجري صلات بأهل اليمن ، وكان من هؤلاء سليمان بن معبد المتوفى سنة ٢٥٧ هـ أبو داود النحوي الذي سمع من النضر بن شميل والأصمعي في البصرة ، وقد سمع من عبد الرزاق بن همّام في اليمن .[١٥]

---

(١٢) الإكليل ٨ / ٥ [٧ ـ ٨] .

[(١٣) إنباه الرواة ١ : ٢٨٠] .

[(١٤) مقدمة صفة جزيرة العرب ، ص 13 « وفي كتب الهمداني مايدل على جهله بمواضع طريق العراق ، ولو سلكه لما جهلها ، كقوله في الجوهرتين ....] .

(١٥) إنباه الرواة ٢ / ٢٠ ، وتاريخ بغداد ٩ / ٥٢ ، والبغية ١ / ٦٠٣ .

(١٦) جرى الانتقال من رقم (١٥) إلى (١٧) سهواً فلا يوجد تعليق في هذه الحاشية




ونقف في (صفة جزيرة العرب) على قدم إفادة اللغويين في اليمن من علماء العراق ، قال الهمداني : « ولهم (أي كتّاب صنعاء) خط المصاحف الصنعاني المكسّر ، والتحسين الذي لايلحق به ، ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك الخليل »[١٧].

وعرفت اليمن العربية وسادت فيها ، والإشارات القليلة إلى صلات أهل كل من البلدين بعضهما ببعض دليل على ذلك . وإن ماذكره أبو عمرو بن العلاء عن « الحميرية » ، والذي أثبتناه آنفاً ، دليل آخر على فشو العربية ، وإن « الحميرية » المشار إليها لاتعدو أن تكون شذرات وبقايا . وطبيعي أن تعرف عربية اليمن هذه البقايا ، وليس من العلم أن يزول الشيء دون أن يخلّف . فيما يليه أثراً يدلّ على وجوده القديم .

لقد أثبت الدكتور هادي الهلالي[١٨] ماأفاده من الهمداني من أن « الحميرية سائدة في عصر الهمداني (أي القرن الرابع)»[١٩] ، وهذا غير سديد ، ذلك آثار الهمداني نفسه تشهد بغير هذا الذي ذهب إليه صاحبنا الهلالي . إن كتاب (الاكليل) وكتاب (صفة جزيرة العرب) وكتاب (شرح الدامغة) وغيرها جاءت بعربية سليمة خلت من ألفاظ حميرية . وهذا يعني أن ماسجله الهمداني من الحميرية في « قتاب » وغيرها من الحواضر إلى « ذمار » لغة دارجة عامية حفلت فيها الحميرية بنصيب ، وليس لنا أن نقول إن هذا قد طغى على العربية ، لانعدام الدليل المادي ، وكتبُ اليمنيين الذين تقدموا الهمداني تشهد بتلك العربية

(١٧) صفة جزيرة العرب ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(١٨) نشأة الدراسات النحوية واللغوية (ط . دار آفاق عربية ١٩٨٤) ص ٩٢ .

(١٩) ولد الهمداني سنة ٢٨٢ هـ ، وتوفي سنة ٣٣٤ هـ ، انظر ترجمته في (الاعلام) للزركلي : (الحسن بن أحمد .... الهمداني) .

الفصيحة العالية التي وقف عليها الهمداني في (رسائل) البلوي[٢٠] ، وهي الرسائل الأدبية التي توجه بها إلى جملة من معاصريه .

وقد أشار الهمداني باطراء بالغ إلى هذه « الرسائل ».[٢١]

ومن هنا كان فشو (الحميرية) في عربية صنعاء الدارجة ، وكذلك فشوّها في « شيبام » [شبام][٢٢] ، وفي « خيوان »[٢٣] كما أشار الهمداني . وقد يكون شبه هذا مانجده في عصرنا في عامية أهل اليمن في القرى والبوادي من آثار لغوية (حميرية) ، وهي في الحقيقة العلمية كلمات (سبئية) نجد أصولها في لغة الخطوط التي استُقريت ، فكان منها مادة (المعجم السبئيّ) ، غير أن اللغويين العرب قد أطلقوا عليها (الحميرية) .

ونظير هذا حاصل في كل لغة عربية دارجة ، ألا ترى أن عامية أهل العراق وسطه وجنوبه قد حفلت بمواد أكدية وأخرى سابقة على ذلك سومرية .[٢٤]

وإلى شيء من هذا أشار الهمداني في كلامه على لغة أهل عدن ، فوصفها بأنها مولّدة ورديئة[٢٥] . ومثل هذا قوله في (المهرية) و (الشحرية) إنها تشاكلان العجم ، لأن الناطقين بها قوم لاينطقون نطقاً فصيحاً فقال : « أهل الشحر والأسعاء ليسوا بفصحاء ، مهرة غُتم ،

(٢٠) البلوي : بشر بن أبي كبار من الأدباء الصنعانيين . انظر (الاعلام) للزركلي .

(٢١) صفة جزيرة العرب ، ص ٨٧] .

(٢٢) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩ .

(٢٣) المصدر السابق ص ٢٧٨ [خيوان فصحاء ، وفيهم حميرية كثيرة إلى صعدة] .

(٢٤) انظر سلسلة مقالات في مجلة (سومر) لطه باقر .

(٢٥) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ [عدن : لغتهم مولدة رديّة] .

يشاكلون العجم ، وحضرموت ليسوا بفصحاء ، وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف . وسَرو مذحج ، ومأرب ، وبيحان ، وحريب ، فصحاء ، ورديء اللغة منهم قليل »[٢٦] . ويمضي الهمداني فيقول :

« سروُ حمير وجعدة ليسوا بفصحاء ، وفي كلامهم شيء من (التحمير)[٢٧] .

ولنمض مع الهمداني فنستوفِ ماأفاض فيه وهو :

« ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون : « ياابن معَمّ » في « ياابن العمّ » و « سِمَعْ » في « اسمَعْ » ، (ولغة)[٢٨] لحج وأبين ودثينة أفصح . والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم . وعدن لغتهم مولّدة رديئة ، وفي بعضهم نوك وحماقة ، إلاّ من تأدب . وبنو مجيد وبنو واقد والأشعر لابأس بلغتهم . وسافلة [المعافر] غُتم ، وعاليتها أمثل . والسكاسك وسط بلد الكلاع نجدية « مثيل » (كذا) مع عسرة من اللسان الحميري سراتهم فيهم تعقّد[٢٩] (كذا) .

و (سخلان) و (جيشان) و (وراخ) و (حَضِر) و (الصهيب) و (بدر) قريب من لغة (سَروحمير) . و (يحضِب) و (رُعَين) أفصح من (جُبْلان) و (جُبلان) في لغتهم تعقّد[٣٠] . وحقل (قَتاب) فإلى

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) المصدر السابق . والمراد بـ (التحمير) الحميرية .

(٢٨) سقطت من الأصل ص ٢٧٧ ، والسياق يقتضيها .

(٢٩) أقول : كأن الأصل : تعقيد ، ولكني وجدت الصيغة تتكرر .

(٣٠) كأن الهمداني يتتبع مواطن الفصاحة للعربية ليميزها عن (الحميرية) .

(ذَمار) الحميرية القحة المتعقدة .[٣١] و (سراة مذحج) مثل (رَدْمان) و (قَرْن) ونجدها مثل (رَداع) . و (إسبيل) و (كومان) و (الحدا) و (قائفة) و (دِقْرار) فصحاء ، و (خَولان) قريب من ذلك[٣٢] .

أقول ! وكأن الهمداني في سرده هذا أراد أن يضبط القبائل والجهات التي عرفت بالفصاحة كما يضبط الجهات الأخرى التي عرفت فيها (الحميرية) .

ونمضي في هذا الضبط وكأننا ننظر في خارطة لغوية على نحو مايفعل الغربيون في الأطالس اللغوية ، ونجد المصنف يقول :

(سحْمَر) و (قَرْد) و (الحَبَلة) و (مُلح) و (لَحِج) و (حمض) و (عُتمة) و (وتيح) و (سَمحْ) و (أنس) و (ألهان) وسط ، وإلى اللكنة أقرب .

(حَراز) و (الأُخروج) و (شم) و (ماضح) و (الأحبوب) و (الجَحادب) و (شَرَف أقيان) و (الطرف) و (واضح) و (المعلل) خِلّيطَى من متوسط بين الفصاحة واللكنة ، وبينها ماهو أدخل في الحميرية المتعقدة ، لاسيما (الحضورية)[٣٣] من هذه القبائل .

(بلد الأشعر) و (بلد عَكّ) و (حَكَم بن سعد) من بطن تهامة وأحوازها لابأس بلغتهم ، إلاّ من سكن منهم القرى .

(همدان) من كان في سراتها من (حاشد) خِلّيطَى من فصيح مثل (عُذَر) و (هَنْوَم) و (حَجُور) ، وغُتْم مثل بعض (قُدَم) وبعض

(٣١) وهذه العبارة جعلت الدكتور هادي عطية مطر الهلالي يذهب إلى انتشار الحميرية بين « قتب » و « ذمار » كما أشرنا إلى ذلك .

(٣٢) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٨ [خولان العالية قريب من ذلك] .

(٣٣) لعل المراد : لغة الحواضر .

(الجبر) .

نجديّ (بلد همدان البون) منه المشرق والخشب عربيّ يخلط حميرية ظاهر همدان النجديّ من فصيح[٣٤] . ودون ذلك (خَيْوان) فصحاء ، وفيهم حميرية كثيرة إلى (صَعْدة) . وبلد (سفيان بن أرحب) فصحاء إلا في مثل قولهم : أم رجل ، وقيّد بعيراك ، ورأيت أخواك[٣٥] ..... و (عُذَر مَطِرة) و (نَهم) و (مُرهبة) و (ذيبان) و (سكن الرحبة) من بلحارث فصحاء . و (صناف) بالجوف الأعلى دون ذلك (خرفان) و (أثافت) لابأس بفصاحتهم . و (سكن الجوف) فصحاء ، إلاّ من خلطهم من جيرة لهم تهاميين .

وقابل (نهم) الشمالي و (نعمان مرهبة) فظاهر بني عَليان و(ظاهر سفيان) [و] شاكر فصحاء .

و (بلد وادعة) بنو حرب أهل إمالة في جميع كلامهم و (بنو سعد) أفصح .

ومن (ذَمار) إلى (صنعاء) متوسط ، وهو بلد (ذي جُرَة) .

و (صنعاء) في أهلها بقايا من العربية المحضة ، ونبذ من كلام حمير .

و (مدينة صنعاء) مختلفة اللغات واللهجات ، لكل بقعة منها لغة ،

---

(٣٤) لم يتوقف محقق « صفة جزيرة العرب » فيشير إلى عدم انتظام النص ، واضطراب السياق ، وكأن الكلام مستقيم .

(٣٥) كنا ذكرنا هذا الموضع من كلام الهمداني في أحد التعليقات من هذا البحث [التعليق رقم ٤] . ولابد أن نشير إلى أن إبدال الميم من لام التعريف قد نسب إلى عامة اليمن ، وإن التزام المثنى للألف قد عُزي إلى لغة بلحارث بن كعب في مصادرنا النحوية . [ويشركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعير ومأشبهه الأشعر وعكّ وبعض حكم من أهل تهامة] .

ومن يُصاقب (شَعوب) يخالف الجميع[٣٦] .

و (شِبام أقيان) و (المصانع) و (تخلى) حميرية محضة .

و (خولان) صعدة ، نجديُّها فصحاء ، وأهل (قدّها) وغورها غُتْم .

ثم الفصحاحة من (العَرْض) في (وادعة) فجنب (فيام) فزُبيد فبني الحارث فيما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض (يام) فأرض (سنحان) ، فأرض (نهد) وبني أسامة ، فعَنْز ، فخثعم ، فهلال ، فعامر بن ربيعة ، فسراة الحَجْر ، فدَوْس ، فغامد ، فشكرْ[٣٧] فَفَهْم فثقيف فبجيلة فبنو علي ، غير أن أسافل سروات هذه القبائل ، مابين سَراة خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة . وأما العروض ففيها الفصاحة ماخلا قراها ، وكذلك الحجاز ، فنجد السفلى فإلى الشام وإلى ديار مضر وديار ربيعة فيها الفصاحة إلاّ في قراها ، فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعيض والتفنين » .[٣٨]

ولنعرض لشيء من مادة « الإبدال » مما هو داخل في لغة اليمن كما أشارت مصادرنا اللغوية ، ودونك هذا :

١ ـ بين الفاء والباء :

يبدل أهل اليمن الفاء باء فيقولون في (الفداء) (البداء)[٣٩] ، وفي

(٣٦) علّق المحقق فقال : هي كذلك إلى اليوم (صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩) .

(٣٧) قال المحقق في تعليقه : في الأصول « فيشكر » وتقدم ، أقول : و « يشكر » أولى ، والنسبة إليها فاشية .

(٣٨) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(٣٩) انظر التاج (بدي) .

(الخزف) (الخزب)[٤٠] ، وفي (شخف) (شخب)[٤١] .

أقول : إذا كنا قد وقفنا على هذه الكلمات الثلاث ، ولو استوفينا استقراءنا لوجدنا كلمات أخرى ، فهل يكون ذلك ان في لغة أهل اليمن تتعاقب الفاء والباء ، وأن كل فاء تكون باءً ؟

هذا ماأشك فيه وأنكره ، وابدال اليمنيين لايتجاوز جملة ألفاظ ليس غير ، وهو كسائر الإبدال في لغات القبائل الأخرى . وقد نستظهر على مانقول بما يعرض من الإبدال في لغاتنا الدارجة في عصرنا ، واختلاف البلدان فيه ، ألا ترى أن بعض أهل بلادنا يقولون : (عمبر) في حين أن غيرهم في بلاد أخرى يقولون (عنبر) ، ومثل هذا (اسماعيل) و (اسماعين) ، والأمثلة كثيرة . فهل لنا أن نقول : إن نماذج هذا الإبدال مطردة في كل كلمة فيها ميم أو فيها لام .... ؟

٢ - بين الميم والباء :

وهم يبدلون الميم باءً فيقولون في (الصّرام) (الصّراب)[٤٢] ويقولون في (الكحب) (الحكم)[٤٣] .

---

(٤٠) في المخصص ٢ / ١٢٥ : (الخزب) يمانية ، وهي (خزف) وانظر الجمهرة (بخز) [جاء في الجمهرة ١ : ٢٣٤ والخزب : الخزف المعروف في بعض اللغات] .

(٤١) الشخاف ككتاب ، قال الليث : هو اللبن لغة حميرية (تاج العروس / شخف) [في الجمهرة ١ : ٢٣٥ والشخاب : اللبن ، لغة يمانية لأهل الجوف] .

(٤٢) صرب الزرع : أي صرمه ، بلغة بعض أهل اليمن ، ويسمون (صرام) (الصراب) .

وحمير تسمي « أيلول » « ذا الصراب » لأنه فيه صرام الزرع . انظر : منتخبات من كتاب شمس العلوم (مصور دار الفكر بدمشق) ص ٦٠ ، وانظر : التاج (صرب) .

(٤٣) الكحب والكحم هو الحصرم ، لغة يمانية عن ابن دريد ، وعن الليث : الكحب بلغة أهل اليمن : النورة ، انظر : التهذيب (كحم) وكذلك اللسان (كحم) والقاموس ، وانظر الجمهرة (حكم) .

٣ ـ بين السين والتاء :

يبدلون السين تاء فيقولون في (الناس) (النات)[٤٤] ، وفي (لباس) (لبات)[٤٥] .

٤ ـ إبدال أول الحرف المشدد نوناً :

وهم يقولون في (حظّ) (حنظ) وفي (إجاص) (انجاص) ، وفي (إجّار) (إنجار) وفي (إجّانة) (إنجانة)[٤٦] .

٥ ـ بين الزاي والشين والسين :

ويبدلون الزاي شيناً فيقولون في (الخزف) (الخشف)[٤٧] ، وفي (مزع) (مشع)[٤٨] .

ويبدلون الشين سيناً فيقولون في (أكباش) (أكباس)[٤٩] .

ويبدلون السين زاياً فيقولون في (الأسد) (الأزد)[٥٠]

---

(٤٤) المزهر ١ / ٢٢٢ والصاحبي ص ١٣٩ ، والنوادر (لأبي زيد) ص ١٠٤ ، واللسان ٢ / ٤٠٧ .

(٤٥) التهذيب ١٣ / ١٠٩ ، واللسان (لبات) .

(٤٦) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ص ١٢٩ ـ ١٣٠ [جاء في الاقتضاب (ط ١٩٨٢) ٢ : ١٨١ : « قد حكى اللغويون أن قوماً من أهل اليمن يبدلون الحرف الأول من الحرف المشدد نوناً ، فيقولون : حنظ ، يريدون حظاً ، وانجاص ، وانجانة . فإذا جمعوا رجعوا إلى الأصل . وهذه لغة لاينبغي أن يلتفت إليها ، فإن اللغة اليمنية فيها أشياء منكرة ، خارجة عن المقاييس] .

(٤٧) الجمهرة ٢ / ٢٢٣ ، واللسان (خشف) .

(٤٨) المزع ، لغة يمانية : نفش القطن بالأصابع ، مزعت القطن أمزعه مَزْعاً ، الجمهرة ١ / ٥٢ [٣ : ٨] والمشع ، لغة يمانية ذكرها الخليل : مشعت القطن أمشعه مشعاً إذا نفشته بيدك ، والقطعة منه مشعة ومُشيعة (الجمهرة ٣ / ٦١) .

(٤٩) ثوب أكباش ، وهي ضرب من برود اليمن ، قال : وقد صح الآن أكباس (بالسين) / اللسان (كبش) .

(٥٠) اللسان (أزد) .





٦ ـ بين الدال والراء والذال :

ويبدلون الراء دالاً فيقولون في (الشكر) (الشكد)[٥١] ، ويبدلون الدال ذالاً فيقولون في (ذحج) (دحج)[٥٢] .

٧ ـ بين الغين والجيم :

ويبدلون الجيم غيناً فيقولون في (الجداف) (المغداف)[٥٣] .

٨ ـ بين الطاء والضاد :

ويبدلون الطاء ضاداً فيقولون في (الحطب) (الحضب)[٥٤] .

٩ ـ بين العين والغين :

ويبدلون الغين عيناً فيقولون في (أصغَى) إليه (أصعَى) إليه[٥٥] .

١٠ ـ بين الحاء والخاء والعين :

ويبدلون الحاء خاءً فيقولون في (القفح) (القفخ)[٥٦] وفي (رحمته) (رخمته)[٥٧] .

---

(٥١) التهذيب ١٠ / ٨ و منتخبات من شمس العلوم ص ٥٦ ، واللسان (شكد) .

(٥٢) دحجه يدحجه دحجاً : أي عركه يعركه عركاً كعرك الاديم ، يمانية في « الجمهرة » (جحد) وانظر اللسان (جحد) .

(٥٣) الغادف : الملاّح ، والغادف والمِغدَفة ، والغادوف ، والمِغدَف كله الجداف ، يمانية . انظر : اللسان (غدف) والجمهرة (دغف) .

(٥٤) الحضب والحطب بلغة أهل اليمن ، انظر اللسان والتاج (حضب) ، وكذلك « الصحاح » ، وفيه ان « الحضب » لغة في « الحصب » وفيه قرأ ابن عباس ﴿ حضب جهنم ﴾ .

قال الفرّاء : يريد الحصب ، قال : وذُكر لنا أن « الحضب » في لغة أهل اليمن الحطب ، وكل ما هيجت به النار وأوقد .... .

(٥٥) منتخبات ص ٦٢ .

(٥٦) الجمهرة ٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٥٧) المصدر السابق ٢ / ٢١٤ [وأهل اليمن يقولون : رحمته : أي رققت عليه] .

ويبدلون العين حاءً فيقولون في (زَلَعَ) جلده بالنار (زلح)[٥٨] .

١١ - بين الكاف والشين :

ويبـدلون الكاف شينـاً فيقـولـون في (لبَّيـك) (لبَّيش)[٥٩] ، وهـو الذي أطلق عليه (الشنشنة) .

١٢ - بين التاء والكاف :

ويبدلون التاء كافاً فيقولون في (عَصَيتُ) (عَصَيك)[٦٠] .

١٣ - بين الهمزة والواو والياء :

ويبدلون الهمزة واواً تارةً وياءً تارة فيقولون في :

(آتيتُه) على الأمر ، (واتيته) على الأمر[٦١] .

وفي (آسيته) (واسيتُه)[٦٢] .

وفي (آكلتُ) (واكلت)[٦٣] .

وفي (آمرت) (وامَرت)[٦٤] .

وفي (آخيت) (واخيتُ)[٦٥] .

وفي (آخُذُ) (واخُذُ)[٦٦] .

وفي (بدأنا) (بدينا)[٦٧] .

(٥٨) المنتخبات من « شمس العلوم » ص ٤٦ .

(٥٩) المزهر ١ / ٢٢٢ .

(٦٠) الصحاح ٥ / ١٤١ ، والإبدال للزجاجي ص ١٠٦ ، والنوادر ص ١٠٥ .

(٦١) تاج العروس (أتى) ، والصحاح ٢ / ٨٦٢ ، واللسان (أتى) .

(٦٢) المصباح المنير ١ / ١٩ ، والصحاح (أسو) .

(٦٣) اللسان (أكل) .

(٦٤) المصدر السابق (أمر) .

(٦٥) المصدر السابق (أخو) ، والمصباح ١ / ١٢ ، والمزهر ١ / ٤٦٢ .

(٦٦) المصباح (أخذ) .

(٦٧) الجمهرة ٣ / ٢٠٢ ، واللسان (بدي) ومثله في « التاج » و « الصحاح » .

وفي (المئزاب) (الميزاب)[٦٨] .

ويبدلون الياء همزة في بعض الكلمات فيقولون في (رثيت) الميّت (رثأته)[٦٩] .

أقول : وجملة هذه المواد التي عرض لها الإبدال قد تحدث أو يحدث نظائرها في عربية غير يمنية . وفي كتب الإبدال مادة وافية تتصل بلغات القبائل[٧٠] . وليس لنا أن نتخذ من هذه البقايا أو الشذرات مواد علمية في درس لغات القبائل ، وهو ماندعوه في عصرنا بـ (اللهجات) .

لاأدري كيف يسوغ لباحث في عصرنا أن يدعي أنه درس لغة هذيل أو لغة تميم أو لغة أهل الحجاز ، وهو لايستطيع أن يعرف على وجه من التحديد مواطن هذه المجامع القبائلية . وكيف يتأتّى لدارس أن يقول فيما يقول : هذه لغة تميم معتمداً على شذرات صوتية تدخل في باب الإبدال ، وعلى مواد صرفية تختلف في الفتح والضم والكسر ، وعلى طائفة من كلم لها دلالات خاصة لدى هؤلاء ، ودلالات أخرى لدى أولئك .

---

(٦٨) التهذيب ١٣ / ٢٦٢ ، والمعرّب للجواليقي ص ٣٧٤ [ص ٣٢٦] .

(٦٩) الجمهرة ٣ / ٢٨٢ ، وكذلك اللسان (رثأ) .

(٧٠) إن مواد « الإبدال » في أي لغة (لهجة) قديمة أو حديثة يندرج في باب « التغير التركيبي » في الكلمات ، ذلك أن الأصوات يتصل بعضها ببعض تجاوراً واقتراباً فيلتقي الصوت بما يجاوره من غير أن يصل بينهما صوت لين . وقد يتصل صوت اللين بنظيره فيكون من هذا التجاور بين الصوتين الساكنين « تماثل » وهو مايدعى Assimilazion ، أو يكون تغاير dissimilazion . فأما (التماثل) فيكون فيه ظاهرتان ، الأولى غلبة الصوت السابق على اللاحق ، والثانية على العكس ، وهكذا يتحول المهموس إلى مجهور أو العكس ، وهكذا يتحول الصوت إلى صوت آخر قريب إما في المخرج أو الصفة . وأما (التغاير) فكثيراً مايكون في الصوت المشدّد الذي يفكّ فيكون الأول واواً أو ياء ، أو مدّاً أي صوت لين طويل ، وقد يتحول الصوت الأول إلى صوت من الأصوات المائعة liquide وهي اللام والميم والنون والراء .

لقد ادرك اللغويون القدامى ومعهم النحاة وجوه الاختلاف في هذا الموروث من التراث اللساني ، فأشاروا إليه على أنه خارج عن المطرد العام من مواد العربية . وربما وقفوا على نماذج فريدة أدرجوها في باب (المذموم) من اللغات(٧١) .

لقد عني الغربيون بدراسة ماندعوه (اللهجات) ، ولكنهم لم يبتعدوا عن العلم ، ذلك أنهم درسوا لغات معروفة في هذا العصر في بيئة محدودة معروفة فقد درس الفرنسيون لغة منطقة (بريتاني) في شمال غرب فرنسا ، ولغة الباسك في جنوب غرب فرنسا . لقد واجه الدارسون هذه البيئات وسمعوا منهم ، فكان من ذلك درس للنظام الصوتي ، ودرس للنظام النحوي كما كان درس للمعجم الذي يدخل في باب الدلالة .

وهكذا فعل الانكليز والروس وغيرهم . ولم يكن من هؤلاء الدارسين أن تصدوا للغة قديمة عفّى عليها الزمن ، ولم يبق منها إلا شذرات تندرج في باب الأصوات وباب الدلالة . وأنت قد يأخذك العجب في صنيع أصحابنا في هذا العصر ، يتصدى أحدهم للغة تميم أو هذيل أو لغة قبيلة أخرى فيحاول أن يدرس مسألة (النبر) و (النغمة) وماأشبه هذا مما يستحيل ادراكه ، لأن الدارس يفتقر إلى الناطق بهذه اللغات القديمة . ثم إن الموروث من تلك اللغات شيء بعيد عن الأصل القديم كل البعد .

إننا نعرف أن الصوت وحده يتطور تطوراً كبيراً ، ألا ترى أن صوت الضاد في عربيتنا المعاصرة قد تحول إلى ظاء . وإن العرب في عصرنا يختلفون من بلد إلى بلد في إخراج أصوات الحلق ، فكيف يذهب إخواننا في الظلام فيصنفون الرسائل في موادّ قديمة طفت عليها عربية

(٧١) انظر « اللغات المذمومة » في « الصاحبي » أو « المزهر » .





موحدة نحواً وصرفاً ودلالة . وقد يكون المشرفون على هذه الرسائل من أساتيذ الجامعات أحق أن يوجّه إليهم هذا النقد .

يأتي نفر من هؤلاء الأساتيذ فيزعم أحدهم : أن المبرر الصوتي لانقلاب السين تاءً هيّن واضح ، لأنهما يكادان يكونان متماثلين في المخرج ، كما أن كلاً منهما صوت مهموس ، ولم يبق إذن إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكماً ، به ينحبس النفس حتى إذا انفصلا انفصالاً مفاجئاً سمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالتاء ، في حين أنه في حالة النطق بالسين نلحظ أن انحباس النفس لايكون محكماً ، بل هناك فراغ ضيق من طرف اللسان وأصول الثنايا ليتسرب منه الهواء[٧٢] .

أقول : هذه الفائدة الصوتية صحيحة وأنت تنظر في إخراج السين والتاء ، ولكني لاأرى ذلك سبباً بل أراه شرحاً لما هو واقع ، إذ لوكان سبباً لتحقق في كل كلمة على وزان (الناس) ، فلم يؤثر هذا الإبدال في البأس والرأس والفأس ونحو ذلك ، ولم يسمع ذلك في هذه الألفاظ ونظائرها حتى في تسهيل الهمزات في كل قول من يقول : باس وراس وفاس .

ثم قال : إن القبائل التي تقلب السين إلى التاء هي القبائل البدوية التي تميل إلى الأصوات الشديدة في نطقها كقبائل خثعم وزبيد[٧٣] .

أقول : هل استقرى هذا الأستاذ مايكون في نطق القبائل البدوية الأخرى ، وكيف اهتدى إلى أن القبائل البدوية تؤثر الأصوات

---

(٧٢) اللهجات العربية لإبراهيم أنيس ص ١٠٥ [ص ٩٤ / ط ٢] .

(٧٣) المصدر السابق .





الشديدة . إن أصحاب هذه الأقوال يفسرون الظواهر الصوتية فيهتدون إلى أي سبب يخيل إليهم أنه سبب حقيقي ، لذلك نراهم يتناقضون في أقوالهم ، فقد رأينا أحدهم يفسر الفتح في تميم في طائفة من الكلمات الثلاثية لأنها بدوية ، تميل إلى السهولة ، في حين كانت لغة الحجاز[٧٤] تميل في تلك الألفاظ إلى ضم فاء الكلمة . ثم يبتعد بهذا الباحث الشوط فيجد الفتح في لغة الحجاز ، والضم في لغة تميم فينطلق ملتمساً سبباً آخر لهذا فيجعل البداوة تؤثر الضم .

أقول : كأن العلم اللغوي لدى هؤلاء صنعة وافتعال ، بعيد عن سماحة الطبع التي جبل عليها المعربون بدواً كانوا أم أهل حواضر .

وإذا كان طبع أهل البادية على ماوصف هذا الأستاذ ، فلِمَ اختص بهذه الكلمة (الناس) ولم يتجاوزها إلى غيرها مما ينتهي بسين مثل نبراس ، وقرطاس ، وقياس ، وغيرها ؟

ولننظر فيما قالوا في الدال والذال :

لقد قالوا بقرب مخرج الدال مِن مخرج الذال ، إذ أن مخرج الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ومخرج الذال من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا ، ويتحد الصوتان في صفة الجهر ، ويختلفان في أن الذال صوت رخو بينما الدال صوت شديد[٧٥] .

أقول : وهل لنا أن نفسر مانُسب إلى أهل اليمن أنهم قالوا : (ذحج) والأصل (دَحَج) ، وإذا كان هذا فلم لم يؤثر عنهم (ذحرج) والأصل

(٧٤) انظر الكلام على لغة الحجاز في كتابنا هذا .

(٧٥) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(دحرج) .

وتفلسف آخر فقال : إن مسوّغ الإبدال بين الصوتين هو انتقال مخرج الذال إلى الوراء قليلاً فيصادف الدال ، كما تتغير صفة الذال من الرخاوة إلى الشدّة فتصير دالاً[٧٦] .

أقول : وهذا التحول أو الإبدال يشيع في العامية ، ألا ترى أن الفصحاء قد قالوا في بعض المعرّب : أستاذ ، والعامة تقول استاد ، وتقول : فولاذ ، والعامة تقول بحسب الأصل الأعجمي (بولاد) والباء أعجمية نظير الحرف (p) اللاتيني ، وغير هذا كثير ، ولانعدم أن نجد في عامية أهل مصر قولهم في الأعلام : مندور ومدكور ، وفصيحها منذور ومذكور .

على أن شيئاً من هذا قد أثر في فصيح العربية فجاء في قوله تعالى : ﴿ وادَّكَرَ بعد أمّة ﴾[٧٧] ، ونقول (ادّخر) ، وهو أكثر من (اذدخَرَ) أو (اذَّخَر) .

وزعم اللغويون القدامى ، أن أهل اليمن يبدلون الحرف الأول من الحرف المشدّد نوناً فيقولون في (إجاص) (انجاص) ، وفي (إجّانة) (إنجانة) ، وفي (حظّ) (حنظ) ، وفي (اجّار) (إنجار) وغيرها .

وزعم أحدهم في تفسير هذا في ضوء قانون المغايرة (dissimilation) فقال: (حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة ، ويحدث هذا الاختلاف في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد

(٧٦) اللهجات العربية في التراث لأحمد الجندي ص ٣٣٨ .

(٧٧) ٤٥ سورة يوسف ، وعكس هذا قراءة ابن عباس ﴿ فشرِّذ بهم من خلفهم ﴾ ٥٧ سورة الأنفال .

الصوتين المضعّفين إلى صوت لين طويل ... أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بـأصوات اللين ، وهي المسماة بـالأصوات المـائعـة وهي اللام والميم والنـون والراء)[٧٨] .

أقول : إذا عرف هـذا الإبـدال في لغـة أهل اليمن كما زعم المتقـدمون ، فلِمَ لم يشيروا أيضاً إلى غير أهل اليمن الذين عرفوا هـذا الإبـدال وفشـا في لغتهم ؟ ولِمَ لم يطّرد هذا الإبدال في الكلمات الكثيرة المضعفة مادام قائماً على علة صوتية ؟

ونستطيع أن نذهب في سـائر المواد التي حصل الإبـدال فنقول : إنهـا أفراد سجلتها العربية في كلمـات بعينهـا لايمكن أن تكون ظـاهرةً لغويـة يسبّبهـا عـامل صوتي . غير أن الـذين هرعوا إلى هـذا اللـون من الـدرس أرادوا أن يقيمـوا من هـذه (الأشتـــات) هيـــاكل فـأتى العلم بنيـانهم من القواعد .

كيف نعتمد على أن (آسيته) تتحول إلى (واسيته) وعلى نماذج معه أخرى معدودة فنتخذ منها ظـاهرةً لغويـة تنسب إلى أهل اليمن ، وتنسب إلى غيرهم ، وربمـا غلبت الـواو فكانت اللغـة الـوحيـدة . كما في عربيتنـــا المعاصرة[٧٩] .

وكيف نعتمد على (أصغى) التي تحولت إلى (أصعَى) بالعين المهملة كما زعم اللغويون القدامى ، وعلى نظائرها فنقول إنها ظـاهرة يمنيـة ، وهل الذي قرأ (عشاوة) في قوله تعالى : ﴿ وختم على سمعه وقلبـه وجعل على

(٧٨) لحن العامة لعبد العزيز مطر ص ٢٢٨ .

(٧٩) أقول : لقد غلبت الواو في هذه الكلمات فأعارتها إلى الألسن الدارجة ، فالعـامـة يقولون ، واستيه وواكلته وواخذته وغيرها .





بصره غشاوة ﴾[٨٠] . كان على لغة أهل اليمن ؟

ومن العجيب أن ماستبعده الأقدمون وانكروه وحسبوه (مذموماً) منكراً عاد إليه المعاصرون فأعملوا فيه علمهم فزعم أحدهم : « إن شنشنة اليمن ليست إلا كشكشة ربيعة ويجب أن تنسب هذه الظاهرة إلى القبائل البدوية اليمنية كما نسبت الكشكشة إلى تلك القبائل من ربيعة التي توغلت في البداوة »[٨١] .

أقول : لو لم يحتفل هؤلاء المعاصرون بما نبذه القدماء واستنكروه لوجدوا أن هذه الأشتات اللغوية لم تصح نسبتها إلى اليمن أو ربيعة ، بل نسبت إلى أقوام آخرين ، وأنت تدرك هذا إذا استقريت المصادر القديمة لترى ماورد في هذه (الأشتات) ، واختلافها في نسبتها إلى أصحابها .

ويحسن بنا أن نقف على الأشتات اللغوية في المصادر اليمنية ولاسيما (الإكليل) و (صفة جزيرة العرب) للهمداني ، و (شمس العلوم) لنشوان الحميري ، ومن هذا :

قال الهمداني في « الاكليل » : (وبالمتوكّل) سمّوا أكيلاً وهم (الأكيليّون)[٨٢] كأنه اسم مصغّر لان تصغير مُتَفَعّل يصير الى فعيل[٨٣] .

ومنه : النسبة الى (صنعاء) صنعاني ، ومثل ماأشار إليه بالنسبة الى « بَهْراء » بَهْراني ... وقال : خَولانُ لاتنسب إليها إلا على بنية الأصل (صنعاوي) ، وإجماعُ أهل خَولان على أنهم يقولون في ساكن الكدراء

---

(٨٠) ٢٣ سورة الجاثية .

(٨١) اللهجات العربية ص ١٢٤ [ص ١١٢ بتصرف] .

(٨٢) في الاكليل ١ / ٣١١ أثبت المحقق « الأكلون » ، وقال في تعليقه : وصوابه الأكيليون .

(٨٣) المصدر السابق .

(كدراوي) ولا يقولون(كدراني)[٨٤] .

وفي اللسان : ان النون بدل من الهمزة في « صنعاء » حكاه سيبويه[٨٥] . وذهب ابن خلكان الى أنها نسبة شاذة كا قالوا في بهراء (بَهراني)[٨٦] .

وقال :

« وينسب الى حي بني [بن] حَوْلان (حيواني) وأشار الى أنها أصبحت هكذا فراراً من اجتماع ياءين أحدهما [كذا] ثقيلة مع ياء النسبة[٨٧] .

وذكر أن النسبة الى (مَهْرة) عند الكلام على اضطري بن مهرة فقال مَهْريّ ...[٨٨]

والنسبة الى مرّان الرعاء (رعاويّ) والى شمر (شمراني) ...

والنسبة الى « الأخضوض » هي (خضّي) والقياس أخضوضي[٨٩] .

والنسبة الى (الأبقور) (باقري) ، والى (البقراء) (بُقري) .

ثم مضى في هذه الخصوصيات في باب النسب مما عُرف في عربية اليمن .

ومن هذه الأشتات الخاصة باليمن ماذكره الهمداني فيما يعرض من الحذف لبعض الكلمات فهو حين ذكر الملطاط بن عمرو أولد « الى شدد »[٩٠] بن الملطاط أشار الى أن قسماً من العرب يخففونه فيقولون :

(٨٤) صفة جزيرة العرب ص ٨٢ وانظر اللسان ١٠ / ٨٠ ـ ٨١ .

(٨٥) اللسان (صنع) .

(٨٦) وفيات الأعيان ٣ / ٢١٦ ـ ٢١٧ ، واللسان ١٠ / ٨٠ .

(٨٧) الاكليل ١ / ٢٩٧ .

(٨٨) المصدر السابق ١ / ٢٦٧ .

(٨٩) المصدر السابق ١ / ٤٢١ ـ ٤٢٢ .

(٩٠) الإكليل ٢ / ٦٤ .




اليشدَد مثل اليحمد ، كما أنهم يحذفون فيقولون : يشدَد أي يحذفون الهمزة واللام من الكلمة تخفيفاً ، ويبدلون الألف من آخر كلمة (الى) ياء . ثم قال : انهم يبدلون الياء يبدلون من « يشدد » فيقولون : شداد ، أو يحذفون الألف الذي أبدلوه من الياء فيقولون : شدَد .

وأشار الى « المشتبه » بين « شدد » و « سدد » فقال : كلمة « سدد » هو سدد بن زرعة بن زرعة بن سبأ الأصغر ...

وعرض لضرب من البدل غريب ، وهوإبدال التاء نوناً في أبيات أنشدها إياه بعض حمير ، والمذحجي ، وذلك للتكثير ، مستشهداً بقول العجاج ، وقول الشاعر :

لأنت جلبتَ الخيل من أرض حِمْيَرٍ غرابين دهماً حالكاتٍ وكُمتاتا

قال الهمداني : كأنه أراد التكثير في « كُمتان » فأبدل التاء منها[٩١] . وقد وردت النون في الكلمة ولم تبدل في قول العجاج :

والكُمْتُ تَبري كُتْها لكُمتانْ
والوُرْق تَبري للرِّعال الوُرقانْ

أقول : وهذا من الغريب ، ولا أدري كيف يكون « الكُمتات » أكثر من « الكُمْت » ، ذلك أن شيئاً مما جمع بألف وتاء في العربية ينصرف الى أدنى العدد . إن (سنبُلات) و (بَقَرات) في قوله تعالى : ﴿ إني أرى سبع بقرات سِمانٍ يأكُلُهُنّ سَبْعٌ عِجاف وسبْعَ سنبُلات خُضرٍ ... ﴾[٩٢] ، ينصرف الى أدنى العدد ، ولذلك وردا مع العدد « سبع » .

وذكر الهمداني ان « بريِء آل » لما اجتمعت فيه ثلاث همزات خُفِّفت

---

(٩١) المشتبه من أسماء عرب الجنوب للهمداني ٣٢ ـ ٣٣ .

(٩٢) ٤٣ سورة يوسف .

فقيل « بريل » وقد جاء هذا حين ذكر « بريل ذو بَتَع[٩٣] » .

ومن هذه الاشتات اللغوية الخاصة بعربيـة اليمن قولـه : « وكثير من قبـائل حمير يـأتي على الأفعول » .ومن أمثلتـه لهـذا الـوزن الأيفوع والأوسون ، و الأخرون ، ومثله الأهبوب[٩٤] .

وأشـار الى ورود مـاهـو على (فَعـالات) في لغـة هَمْـدان نحـو الخضـارات ، كما أشـار الى مـاورد على (فُعَيلات) نحـو (الحُـدَيعـات)و (والعُيَينـات) و (الأصَيلات) . ومـا ورد على وزن (الفَعَلات) مثـل (اليَجَـدات) و (العَبَلات) ، ومـا ورد على (فُعول) نحو (الصُقور) و (النُسور) و (الغفور)[٩٥] .

ومنها قوله :

وأولـد ذو يقـدَم (ذا أبين) وبـه سُمّيت : « أبين عـدَن ، بقـول أبي نصر » . وأتى بقول شيخـه أبي نصر وهـو « أنـه لايمكن إلا أن يضـاف الى اسم قـد سُمّي قبلـه . وإلاّ كانت تضـاف إليـه « ذات » فيقـال : « ذات أبين » .

ثم قال : قال أبو محمد [يعني نفسـه] وذهب الى أنهـا سميت « أبين » بأبين بن الهميسع لإنشادهم قول الرائش بهذه الرواية التي رواها مستدلاً بها على ماذهب اليه ، وهي :

واذكُرْ بـــــه سيّـــــدَ الاقـــوام ذا إنسٍ
ابن القـــــدام وعمراً والفتى الثـــــاني

(٩٣) الإكليل ٢ / ٢٧١ .

[(٩٤) انظر مقالة « الأفْعُول وماجاء على وزنه من أسماء الأعلام والقبائل والبلـدان في اليمن » للقاضي اسماعيل بن علي الأكوع : مجلة المجمع (مج : ٦١ ص ٣٠٥ ـ ٣٤٧) / المجلة] .

(٩٥) المشتبه من أسماء عرب الجنوب ص ٤٢ .

فقال : « فجعل (ذا يقدَم) كما جعل عبد المطلب قدم » مستظهراً بقول بعض من قَبل قولهم من أهل اليمن : « إنه لايضاف (ذو) الى الأعلام ، فلا يقال : ذو زيد ، ولا ذو عمرو ، ولا ذو مالك . وعلى هذا يجب أن يكون « ذو إنسٍ » زنة « إثم » وهو جبل البقران(٩٦) باليمن .

ثم أشار الى أن أبا نصر قد أبى ذلك وأبطله ، وهو يرى ان البيت :

واذكُر بــه سيّــد الأقــوام ذا بَيَنِ

وقال : إن (حميرَ) تحذف مثل هذه الألف في كلامها فتقول : اذا أردت أن تقول للرجل : اسْمَعْ واذهَبْ ، سِمَعْ وذِهَبْ ، و غِضَبْ ، وشِرَبْ في اغضَبْ واشرَبْ(٩٧) .

وقد قال بما قال به شيخه ابو نصر .

ثم قال : « والوجهُ ماذهب إليه قدماء الرواة أنهم سمعوا بـ (أناس بن الغوث) من الصوار ، فظنوا أنه لايكون اسم انسان بجماعة أسماء الناس مثل أناس بن الغوث ، ورجال بن جَحْدب بن ذي يزن ... وأنه ذو أناس ، وأنه يصلح ان ينقص في الشعر فيقال « ذو أنس » ، والأُنس والأَنس واحد . يقال : قربت من الأُنس والأَنس » ثم قال : ولو أنشدوا :

واذكُرْ بــه سيّــد الأقــوام ذا بَيَنِ

لكانت العربية تجيزه(٩٨) .

[(٩٦) جاء في معجم البلدان (بقران) : « بقران ، بثلاث فتحات وقد تكسر القاف وربما سكنت ، من مخاليف اليمن لبني نجيد (مخلاف بني مجيد ، في أحسن التقاسيم : ٩١ ، وفي المسالك والممالك لابن خرداذبه : ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٩٢ ، وفي كتاب البلدان لليعقوبي : ٨٠) يجتلب منه الجزع البقراني ، وهو أجود أنواعه ....] .

(٩٧) الإكليل ٢ / ٦٠ ـ ٦١ .

(٩٨) الإكليل : ٢ / ٦١ .

الحميرية وما بقي منها ومصادرها

كنا قد أشرنا الى قول أبي عمرو بن العلاء في الحميرية ، وقد أشرنا الى أنه رحل الى اليمن وسمع من أهل اليمن وقد قال : مالسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا . وكأنه وجد بقايا الحميرية معروفة متداولة ، ولعل شيئاً منها قد دخل العربية . ومن أجل ذلك أشار علماء القرآن من أهل العربية الى وجود ألفاظ يمنية في لغة التنزيل .

قال أبو عبيد في قوله تعالى : ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾(٩٩) ، فالأريكة عند أهل اليمن الحَجَلة فيها سرير(١٠٠) . وفي قوله تعالى : ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾(١٠١) ، وأهل اليمن [يسمون] السّتر : المِعذار ، فمعاذيره معناها ستوره(١٠٢) .

وروى الكسائي عن القاسم بن معن في قوله تعالى : ﴿ اسكُنْ أنت وزوجُك الجنّة ﴾(١٠٣) أنها لغة لأزد شنوءة ، وهو أهل اليمن(١٠٤) .

ونقل ابن السكيت عن الأصمعي أن حِميريّاً يقول : أنا أعرف تزبرتي(١٠٥) . قال ابن السكيت : وزبرت الكتاب اذا كتبتُه(١٠٦) .

---

(٩٩) ٣١ سورة الكهف .

(١٠٠) الصاحبي ص ٤٢ [حكاه أبو عبيد باسناده عن الحسن] .

(١٠١) ١٥ سورة القيامة .

(١٠٢) الصاحبي ص ٤٢ [حكاه عن الضحاك بن مزاحم] .

(١٠٣) ٣٥ سورة البقرة .

(١٠٤) الصاحبي ص ٤٢ .

(١٠٥) الإبدال ص ١٤١ .

(١٠٦) الإبدال ص ١٤١ [وجاء في أمالي القالي ٢ : ١٧٢ : « وقال الأصمعي : زبرته : كتبته ، وذبرته : قرأته قراءة خفيفة . وقال : قال أعرابي حميري : أنا أعرف تزبرتي : أي كتابتي » . وجاء في الاقتضاب (ط ٢ ، ١٩٨١) ١ : ١٦٥ : « وقد فرق بعض اللغويين بين : زبرتُ وذبرتُ فقال : زبرت بالزاي : أي كتبتُ ، وذبرتُ بالذال : أي قرأت »] .





وكما أثر كل هذا عن هذه اللغة القديمة ، فقد أثر عنهم مايفيد أن الحميرية تفتقر الى فصاحة العربية ، وأن فيها عجمة ، فقد أشار ابن جني الى رواية عن الأصمعي من أنّ رجلاً من العرب دخل علىملك ظفار ، فقال له الملك : ثِبْ ، ومعناها في الحميرية اجلِسْ ، فوثب الرجل فاندقّت رجلاه ، فضحك الملك ، وقال : ليست عندنا عربية ، من دخل ظفار حمَّر ، أي تكلم بكلام حمير .

وقد اشار ابن جني الى ان الحميرية عربية قديمة لاترقى الى فصاحة لغة التنزيل(١٠٧) .

ويبدو أن الحميرية عاصرت العربية ، فقد ذكر الهمداني أن « مهرة » غُتْم يشاكلون العجم(١٠٨) .

وأن أهل اليمن الذين تكلموا بالعربية استعملوا ألفاظاً كثيرة حميرية .

وقد أشار محمد بن علي الأكوع الى جهد الهمداني في « الإكليل » وشرحه للألفاظ الحميرية التي بعد العهد بها عنا(١٠٩) .

كأن الهمداني قد رسم الخارطة اللغوية في اليمن ، فقرأنا فيها مواطن اللغة الحميرية وانتشارها من قتاب الى ذمار . وفي أهل صنعاء وغيرهم بقية منها ، فتوجد في (شِبام) ، وفي (خَيوان)(١١٠) وغيرها .

وقد جاء في أحد ابواب « الإكليل » بيان لحروف المسند ، وذكر أنه كتاب حمير ومثلاته في حروف أ . ب . ت . ث وغيرها(١١١) .

---

(١٠٧) الخصائص ٢ / ٢٨ ، وقد أشار ابن جني إلى لغة أهل اليمن فذكر قول الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء في ١ / ٢٤٩ ، وفي ٢ / ٤١٦ .

(١٠٨) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ .

(١٠٩) الإكليل ١ / ٧ .

(١١٠) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(١١١) صفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير (م السلفية ـ القاهرة ١٣٧٨) ص ١٦ .

وقال : « أكثر مايقعُ بين الناس الخلف فيما يقولونه من « مسانـد » حمير من اختلاف صور الحروف . لأنـه ربمـا كان للحرف أربع صور وخمس ، ويكون الذي يقرأ لايعرف إلا صورة واحدة .

فلما وقع الخلل في هذا الموضع رأينا أن نثبت تحت كل حرف من حروف ألف ، باء ، تاء صور جميعها . وانما كان اختلاف صور الحروف على سبيل اختلاف الكتاب العربي »(١١٢) .

وقد أشار الهمداني الى مايحذف في الكتابة من الكلمة فقال : وكانوا يطرحون الألف اذا كانت بوسط الحرف مثل ألف « همدان » ، وألف « رِئـام » فيكتبون « رِئْم » ، و « همدن » ، وكذلك تبع كتّاب كتب المصاحف في رسم الحروف في مثل « الرحمن » ، وألف إنسان ، ويثبتون ضمة الآخر واواً « عليهمو »(١١٣) .

ونبّه الهمداني على ان الحميريين يفرزون كل سطرين بخط ، ويفصلون بين كل كلمة وكلمة في السطر بخط قائم مثل ذلك في أول مسند ناعط ، ومثل لصورة مانبّه عليه . وبعد أن فسر ماصوّره قال : « فذهبت الألف المتوسطة ، وثبتت الواو للضمة التي عليها » ثم ذكر ا . ب . ت . ث وسائر الحروف(١١٤) .

وكنا قد أشرنا الى قول الهمداني في الأمر من الأفعال لدى الحميريين وأنهم كانوا يطرحون الالف من الأفعال في الأمر فقال : إذا اردت ان

---

(١١٢) الإكليل ٨ / ١٢٢ [١٤١] .

(١١٣) المصدر السابق [١٤١ ، وجاء فيه : « ويثبتون ضمة آخر الحرف ، وواو عليهمُ] .

(١١٤) انظر صورة الحروف في مسند ناعط وتفسيرها في « الإكليل » ٨ / ١٢٢ - ١٢٣ [١٤١ - ١٤٢] .

تقول للرجل : اسمَعْ ، واذهَبْ ، تقول : « سِمَعْ » و« ذِهَبْ » ، و « غِضَبْ » في اغضَبْ ، و « شِرَبْ » في اشرَبْ ، اي أنها [اي حمير] تحذف همزة الوصل من أمر الثلاثي فذَهَبَ أمره « ذِهَبْ » في لغة حمير(١١٥) .

ويشير الهمداني الى الاشتات الحميرية التي بقيت في العربية اليمنية ، فهو يورد قول فروة بن مُسيك المراديّ :

واللهِ لولا معمَر و سَلمانْ ابنا عروان ووفيّا هَمْدانْ (كذا)
إذن تواردن حوالا نَوفانْ يحملننا وبَيْضنا والابدانْ

قال الهمداني : (حوالا) لغة لهمدان ومن جاورها ، ثم قال : تقول : حلّ بعيراك ، وخذ ديناراك بمعنى حلّ بعيريك ، وخذ دináريك(١١٦) .

ويورد قول علقمة الذي جاء فيه « تُلْفُمَ » :

وتُلْفَمًا فاندبي وابكي لّما خلا أهله فساحوا(١١٧)

وقوله أيضاً :

ألم تَرَنا عطاً أمسَى خراباً وتُلْفُمَ بادَ عامِرُه فجابا

ويقول إن « تلفم » اسم من « تَلَف » زيدت فيه « ما » فقيل :« تلفمًا » ثم حذفت الألف فقيل « تُلْفُمَ » بالحميرية(١١٨) ، ولم يكتف

---

(١١٥) الإكليل ٢ / ٦١ ، وقد مرّت الإشارة إلى هذا . وانظر صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ .

(١١٦) الإكليل ٨ / ٩٣ وانظر صفة جزيرة العرب ص ٢٨٧ [ابناعروان ، لعلها محرفة عن: ابناعرار] .

(١١٧) المصدر السابق . [لو قيل : (وبكّي) بدل (وابكي) لاستقام الوزن ، فالبيت من مخلع البسيط] .

[(١١٨) جاء في معجم البلدان (تلقم) بالقاف ، وقال : « تلقم : جبل باليمن فيه ريدة والبئر المعطلة والقصر المشيد ، وقال علقمة ذو جدن :

برأيه في تركيب هذه الكلمة وحذف الألف منها ، بل أورد كلمات أخرى قالها الحميريون محذوفة الألف كقولهم : « مأذِنم » و « رئامَم » يريدون « مأذناً »و « رئاما » .

ثم ذكر تخفيفها قولهم : « تَلْقَم » وأشار الى ان العرب رأته كالأعجمي فقيل : تَلْثَم بالثاء المثلثة ، وشاهده قول الهمداني[119] :

وتَلْثَمًا لو سألناه يخبّركم قد عفاه من أبواس وأنواس (كذا)

ومما أورده الهمداني من الألفاظ الحميرية كلمة « الكُردي » بمعنى العجين ، ذلك أن(كرد) بلغة حمير بمعنى (عَجَن) .

وقال : (الفحمي) النار والجمر خاصة[120] .

وقال : (الهَجَر) القرية بلغة حمير والعرب العاربة[121] . ومنها هَجَر البحرين ، وهَجَر نجران ، وهَجَر جازان ، وهَجَر حَصبة من مخلاف مأذن ، وفيها جاء المثل :

الهَجَران كفّة بكفّة النخل والذُّبْر بها مَحِفّة

والذّبْر هو الزرع[122] .

ومما أورده الهمداني « التُبَّع » ، قال : تسمّي حمير ماتبع الشمس من الفيء « التُبّعَ » ، قالت سعدى بنت الشمردل الجهنية ترثي أخاها

= وذا القوة المشهور من رأس تلقم أزلن وكان الليث حامي الحقائق »
وقد صحّف ياقوت ، ولكنه عاد فذكره على الصواب بالفاء في رسم (ريدة)] .

(١١٩) الإكليل ٨ : ١٠٣ [١٢٣] .

(١٢٠) المصدر السابق ٨ / ٦٥ [٨١ - ٨٢] .

(١٢١) صفة جزيرة العرب ص ١٧٠ ، وعلق المحقق فقال : « ولازالت (الهجر) بالتحريك تطلق على القرية الكبيرة إلى هذا العهد كما تطلق على آثار وأنقاض المدينة الجاهلية .

(١٢٢) المصدر السابق ١٧١ .




وتنعته[١٢٣] :

يردُ الميـــاهَ حضيرةً ونفيضـــةً ورد القطـــاة اذا اسمألّ التُبَّـــعُ

ونصّ على ان « حمير » تبدل الهـاء من الهمـزة في « هشـوع » ، والأصـل « أشوع »[١٢٤] . كما كانوا يبدلون الواو من الألف ، وقد جاء هـذا عنـدمـا ذكر أولاد شُمانِر بن ذي ماور « ملهو » وتار يُهَنْعِم[١٢٥] ، وذو سُنافة ابني شُمانِر » .

فالأصل في « ملهو » « ملها » لكن بعض حمير يبدل الألف اذا كانت في ذوات الواو فيقول : ملهو في ملها ، ومسنو في مسنا ، وهي النضّاحة ، ورَجْو ومَرْجُو في رَجَا البئر[١٢٦] .

وجاء في « الجمهرة » لابن دريد أن اليمانين يبدلون الألف واواً قال : « وسمعت رجلاً يقـول : أم شيـخ أم كُبّار ضَرَبَ رأسـه بـالعَصُـو ، أي بالعصا[١٢٧] .

ويمضي الهمداني في ذكر الخصائص اليمنية الحميريـة في الأعلام للنـاس والمواضع .

أقـول : ومن هـذه (الأشتـات) التي عرضنـا لهـا يتضح لنـا ان (الحميرية) بقايا ألفاظ وصيغ وجدت مكانها في العربية الفصيحة اليمنية .

---

(١٢٣) الإكليل ٢ / ٦٨ .

(١٢٤) المصدر السابق ٢ / ٢٤ وقد علق محقق الكتـاب فقـال : هـذا يـدل على معرفة المؤلف للقلم الحميري ، ويؤيده ماجاء في النقوش التي عثر عليها المستشرقون .

(١٢٥) أقول : ووجود الهاء حشواً في الفعل ، وهو حرف زائد يقابل الهمزة في العربيـة كما في (أكرَمَ) ، لكن هذه الهمزة تحذف بعد حرف المضارعة خلافاً للحميرية ، ولعل من هذا مابقي في العربية الشمالية الفصيحة كما في قول امرئ القيس :

« وأنّ شفائي عبرةٌ مُهراقةٌ »

(١٢٦) الإكليل : ٢ / ٨٢ .

(١٢٧) الجمهرة ١ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

ونستطيع ان نقول : إنها أوفر حظاً في الألسن السائرة الدارجة في الحواضر اليمنية والقرى .

الخاتمة :

ربما فات الهمداني كما فات مَنْ خلفه من المصنفين اليمانين كنشوان بن سعيد الحميري في كتابه (شمس العلوم) أن يشيروا الى غلبة الصيغة الفعلية وهي « يفعُل » او « تفعِل » في أسماء الرجال وأسماء المواضع نحو : يشجُب ويعرُب ويحصُب ، ويحمَد ويثرِب وينبُع وتريم وتعِز ، وتبوك[١٢٨] ، وطائفة كبيرة أخرى من نحو هذا الذي قدمت .

وهذا من خصائص اللغة اليمنية القديمة ، وأرى ان (يمن) تندرج في هذا فهي من مادة (م ن ن)[١٢٩] ، وليست منْ (يمين) كما ذهب المؤلفون العرب الذين قالوا إنها يمين مكة ، كما أن بلاد (الشام) سميت كذلك لأنها شمال الكعبة .

وبعد فهذا موجز إن لم يكن كافياً فهو مفيد لوقوفه على نماذج من اللغة اليمنية عربية وحميرية تقوم مقام المقدمة لعمل آخر مبسوط كل البسط .

---

(١٢٨) وإني لأميل إلى يمانية الحجاز سكاناً ولغة ، فالناس هم الأوس والخزرج وقبائل أخرى قحطانية ، وأسماء الحواضر والمواضع هي كذلك تتضح في : يثرب وينبع وتبوك وغيرها .

(١٢٩) المعجم السبئي ، انظر مادة (MNN) .



